أمر حسين باشا قائد القافلة بالمدافع ؛ فأُطلقت ، إعلانًا بالتحرك . وبعد أن أدى جميع الحجاج زيارة الوداع خرجت القافلة من المدينة ، ميممة وجهها شطر المسجد الحرام .. نحو مكة المكرمة . وسارت القافلة ساعتين نحو الجنوب حتى وصلنا إلى أبار على .

آبـــار سـيدنا علـــى:

مكان مسطح واسع ، بالقرب من أودية كبيرة ، وقد قام سيدنا على ، كرم الله وجهه بحفر بئر واسع عذب المياه ، وأصبح وكأنه بستان ، يُستخرج منه الماء ، بالدواليب والسواقى ، وحوله أحواض كبيرة يشرب منها الحجيج ويسقون دوابهم ، ويغتسلون فى مياهها ، ويُحْرِمون اعتباراً من هذا الموقع . وداخل بساتين النخيل ، مكان جميل للتنزه ، والترويح عن النفس . وحول تلك الآبار المتناثرة ، وفى جميع نواحيها أقام أهل المدينة مزارعهم . وفى كل عام ، وخلال موسم الحج ، يُقيم الأهالى حولها سوقًا كبيراً ، يبيعون فيه للحجيج منتجاتهم ، ويتكسب فقراء المدينة ، من تعليم الحجاج شروط الإحرام ، وكيفيته .

ودعاء العمرة على النحو التالى :

(لبيك اللهم عمره .. فيسرها لى ..) .

وهكذا يكون الإحرام ، ولبس الحرير محرم ، وعلى الحاج ، أو المعتمر ، ألا يلبس ثيابًا مخيطة أو مطرزة . ويرى بعض الأئمة ؛ أنه من الممكن ، والجائز للفرد ؛ أن يحمل سلاحًا فى ذلك الوقت ، بينما يرى البعض ، الآخر ، أن حمل السلاح ممنوع ، حيث أن الفسق ، والقتل ، وإثارة الشغب ممنوع ، ومحرم فى أشهر الحج .. وعلى الحاج ألا يرتدى الملابس حتى ينحر الذبائح فى منى .. وإن ارتدى ملابسه فعليه أن يذبح أضحية . وعلى مَنْ أراد الحج ينوى بالدعاء التالى :

(اللهم إنى نويت أداء الحج ، فيسره لي ، واقبله مني ..)

ويوجد فى مكان آبارعلى هذا ، مسجد علي كرم الله وجهه ، وله ثنتا عشرة قبة .

ويُؤَدّى فيه الحجاج ركعتين سنة الإحرام ، والمسجد مفروش من الداخل بالرمل ، وفى هذه المنطقة؛ يرتدى الجميع ملابس الإحرام البيضاء ، وتعلو أصواتهم بالتلبية « لبيك اللهم لبيك » ، وتعج الجبال ، والوديان بأناس وقد تدثروا ، في ملابس إحرامهم البيضاء ، وتصدح تلك الجبال والوديان بتلبياتهم .

أدينا فى نفس الموقع صلاة العشاء ، وأشعلنا المشاعل ، ثم بدأنا نسلك طرقًا ، أكثر تعبيداً ، مارين من داخل القرى التابعة للمدينة . وبعد آبار على هذه ، تبدأ حدود مكة ، وقد مررنا بقرى ذات حدائق وبساتين ، وإستمرت مسيرتنا تنثا عشرة ساعة حتى وصلنا إلى :

منزل مقابر الشهداء:

فى هذا المكان كانت قد وقعت حرب ضروس بين المسلمين وكفار مكة فى عهد النبى ﷺ ، واستشهد فيها أكثر من ألف من الصحابة الكرام .. تنتشر فى المكان النباتات الشوكية .. وقد مكثنا فيه بعض الوقت حيث أحضر البدو ما فى حوزتهم مما يُأكل ، أو يُشرب ؛ لكي يبيعونه للحجيج .

عند السحر ، بدأنا المسير حتى وصلنا إلى « حوض إبن مسعود » الذى كان خاويًا تمامًا من المياه ، ثم مررنا ببركة شيخ الحرم وسبيله . وفى وسط منطقة صخرية ملساء ، توجد قاعة صغيرة تُسمى « مصطبة الغزال » . حيث قد مر الرسول (ﷺ) ، بهذه المنطقة ، فرأى صيادين ، وقد هموا بذبح غزال ليأكلوه ؛ فأنطق الله سبحانه وتعالى الغزال وقال :

« .. يارسول الله ، لابد أنهم سيأكلوننى ، ولى صغار ينتظروننى ، ولابد أنهم يتضورون جوعًا ، وسيموتون إذا لم أعد ، فلأذهب إليهم ، وأُشبعهم ، ثم أعود إلى هنا مرة أخرى ، وليذبحوننى عندئذ ويأكلوننى » .. فيقول المصطفى ﷺ للصيادين .. « اتركوا هذا الغزال ليرضع صغاره ، وأنا كفيل بعودته ، فإذا لم يعد إذبحوننى أنا . بدلاً منه .. » وما أن سمع الصيادون الكفرة ذلك حتى أطلقوا سراح الغزال قائلين ، لنر كيف تكون النهاية .

يصل الغزال إلى صغاره . فيرضعهم حتى الشبع ثم يقول لهم .. [.. يا أولادى إن

سيد العالمين محمداً ﷺ حبيس من أجلى ، فلاخلصه من الكفالة ، ولا يجب أن أحنث فى عهدى .. فلياكلنى الصيادون ..] وينطلق الغزال ، بعد ذلك وما أن رأوه الكفار ، حتى أسلموا جميعًا فى لحظة واحدة .

لهذا ، أطلق الآهالى على هذا المكان اسم « مصطبة الغزال » . صلينا ركعتين فى هذا المكان أيضًا ، ثم مضينا ثلاث عشرة ساعة ، من مقابر الشهداء حتى وصلنا إلى

منزل الـ « جديده » :

هضبة صغيرة محصورة بين جبلين ، قصبة بها ستمائة حديقة من النخيل والأعناب ، خاضعة لحكم الشريف ، بها وادى ، وقد قام بتعميرها رضوان بك ، أمير الحج المصرى ، وفى هذا الوادى سبعة أنواع من أشجار النخيل ، منازلها متينة البناء . به العديد من الورود والمراعى ، وبهذا المكان مياه كثيرة ، أهلها أغنياء جداً . ويوجد جامع صغير لرضوان بك ، وله حمام عام ، كما يوجد سوق صغير ، وأمام الجامع عين ماء يسمونها [عين الزرقا] ، وتكثر العيون بهذه المنطقة ، كما أن بها عيون ساخنة المياه ، تبرد عندما يصبح الجو رطبًا ، وتصير كالثلج ، وفى سوقها تقوم السيدات العربيات بالبيع والشراء ، وهن راضيات مبتسمات ، أغلبهن مليحات . وفى شرق ذلك المكان ، وبين الصخور يوجد مزار الشيخ سعد الدين الرومى [1] . وعلى بُعد ألف خطوة من هذا الوادى توجد قرية عربية بها أربعون أوخمسون منزلاً ، كما أن بها حوض والدة السلطان مراد الرابع وبهذا المكان أيضًا مزار الشيخ صالح . وقد أطلق الرسول ﷺ على هذا المكان إسم « وادى نخل حنين » .

قضينا وقت الظهر فى موقع الـ « جديده » هذا ، ثم ذهبنا بين الحدائق ، والبساتين ، وأحيانًا ؛ بين وديان من الصخور ، متجهين نحو المشرق ، وأحيانًا ، نحو المغرب ، بشكل متعرج ، حتى إقتربنا من « بدرحنين » وكان بالقرب من الطريق . « جبل صاجمان » :

---

(١) الشيخ سعد الدين الرومى : ؟

هل هو سعد الدين أفندى زاده الذى تولى مشيخة الإسلام مرتين فى عصر كل من السلطان محمد الثالث والسلطان احمد الاول . وابن الشيخ سعد الدين خواجه آفندى شيخ الإسلام ؛ الذى كان مدرساً فى بروسه عندما ولد إبنه سعد الدين هذا .. وبعد أن اتم دراسته وتحصيل العلوم ، عيّن مولا على مكة المكرمة سنة ١٠٠٠ هـ = ١٥٩١م ؟ (المترجم)

وهو جبل مرتفع قرمزى أي أحمر اللون ، وعندما كان النبى ﷺ متوجهًا إلى غزوة الحديبية ، توقف فى هذا المكان ، ثم صعد إلى ذلك الجبل ، وتوجه إلى الله ، بالدعاء لنصرة جند الإسلام . ويكثر معدن الزمرد بهذا الجبل . فتح النبى ﷺ هذه الديار ، وأرسل الرسل برسائل الفتح إلى حكام المناطق المتاخمة ومنهم « يرويز» شاه العجم ، وقد دعاهم جميعًا إلى الإسلام ، وفى الجانب الغربي من هذا الجبل يوجد جبل عرج .

ثم مررنا بعد ذلك بكثير من القري ، التي تمر بها مياه عين الزرقاء ، وتكثر فيها الحدائق ، والبساتين الغناء . فحيثما كان يذهب الرسول ، أو يمضى كانت مياه عين الزرقاء هذه تسيل ، وتمضى إلى ذلك المكان ، من تحت سطح الأرض ، وأينما طلبها الرسول ، كانت تخرج المياه إلى وجه الأرض . « والله على كل شئ قدير» .

قرية صاجمان:

قرية بها ثلاثمائة منزل ، بها حدائقُ ، وبساتينُ ، وجامعٌ ، وحمامٌ عام ، ومياهها من عين الزرقاء ، تبيع النساء فيها ما يملكون من فواكه ، أو تمور ، يستأجر فيها الحجاج ما يلزمهم من الجمال ، ويبيع أطفالها الخبز الأبيض ، والرقاق المعجون بالزبد ، أو العسل . وما أن تبعد عن الجديده مسيرة ثمان عشرة ساعة حتى تصل إلى قلعة بدر .

وصف قلعة بدر:

فتحها النبى ﷺ بنفسه فى السنة الثانية للهجرة ، حيث قُتل أبى جهل ، ومعه سبعين رجلاً ، من رجاله ، كما أسر كعب بن عمر سبعين مكيًا ، وأحضرهم مكبلين فى الأغلال إلى مجلس النبى ، فأسلموا جميعًا ، وألبس الرسول الأكرم عمامته السوداء لحضرة العباس ، وما أن وضعها ﷺ على رأس العباس حتى قال الصحابة الكرام « لتكن مباركة للعباس» ، مجمل القول أن أبا جهل رأس الكفرة المشركين ، قد قتل ومعه سبعين نفراً من رجاله وقتل سبعة آلاف كافر ؟! وأسلم ألف نفر ، وقد غضب أبو لهب عندما سمع ذلك فى مكة . وبينما كانت زوجته تحضر الخشب

والحطب إلى منزله ، جلست على صخرة لتلتقط أنفاسها ، وظنت أنها قد وضعت الحطب على الصخرة ، ولكن الحطب يسقط خلف الصخرة ، فيلتف الحبل المربوط به الحطب حول رقبتها ، فتُخْنَق ، وتلفظ أنفاسها ، وهكذا أُهلكت زوجة أبا لهب الذى نزلت فى حقهما سورة ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ① مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ② سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ③ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ④ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ⑤ ﴾ (*) وتحت رجاء ، وطلب الصحابة الكرام ، هُدِّمت القلعة لما عانوه من صعاب ، ومتاعب جامة فى الفتح .

وفى جنوب هذا الموقع ، تُقام العبادة فى المحراب ، والصُّفَّة التى أقام الرسول الكريم خيمته بها . ونحو القبلة من هذا الموقع ، وعلى بُعد خمسمائة خطوة ، وعلى جبلٍ ، وعرٍ ، منحدرٍ ، يقع غار النبى .

غـار النبـى :

دخل الرسول الكريم هذا الغار ، وأخذ يدعو بالنصر المظفر لصحابته الميامين . وقد دُفن بهذه المغارة كل مَنْ نال الشهادة ، وحظى بالإستشهاد فى معركة بدر من الصحابة . قام الرسول الأكرم ، بثمانية وعشرين غزوة ، وكانت غزوة بدر تلك ، وغزوة أُحد ، هما أكبر هذه الغزوات جميعًا .

وجنوب بدر حنين ، يوجد بئر بلا ماء ، وقد أُلقيت فيه جثث الكفرة الفجرة الذين ماتوا فى هذه الحرب ، وكان ذلك بأمر الرسول الأكرم . وظلت جثة أبى جهل النتنة فى هذا البئر السحيق . ولا يُطاق الوصول إليه لما ينبعث منه من رائحة كريهة . ويقال أن أنينًا يصدر منه دائمًا ، ولكننى أنا العبد الحقير مررت من جانب هذا البئر ، ولم أسمع الأصوات .

وصـف بـدر حنـين :

أطراف هذه المدينة الأربع صخور حمراء . خاضعة لقائمقامية (١) الشريف على

(*) سورة المسد ، مكية .

(١) قائمقامية الشريف ؛ قائم مقام ؛ معتمد او وزير او مسئوول يحل محل الصدر الأعظم أو الوزير او الوالى فى الإدارة ، وكان هناك ديوان للقائمقامية وقائمقام فى الآستانه لإدارة الامور السياسية والإدارية . كما كان القائمقام يتولى -

مسافة من شاطئ البحر الأحمر مسيرة ما يقرب من خمس ساعات . بها نائب لمولا مكة [1] ، وأربعمائة بيت عربى ، وجامع من اللبن المتين البناء ، تتدفق مياه عين الزرقاء فى فناءه ، وبالقرب منه حوض كبير ، وناحية القبلة يوجد أيضاً مسجد ذوقبة . وبها حمام عام ، ومئتا دكان . وفى هذه المدينة يلتقى طريق الحج المصرى [2] بطريق الحج الشامى ويحتفل حجاج مصر ، بغزوة بدر ، فى هذا المكان حيث يشعلون المصابيح والمشاعل ، ويطلقون الفشنك «الأعيرة النارية» . ولما كانت

= الشئون الإدارية وأمور الأوقاف . وفى التقسيمات الإدارية كانت السناجق ، والقصبات تُقسم إلى قائمقاميات لتسهيل آعمال الادارة ، واستتباب الأمن ، واحلال الربط والضبط . ومن هنا كانت قائمقامية الشريف فى مكة لمعاونة الوالى ، والسلطان فى تنظيم أمور الحج وإدارة الحجاز . (المترجم)

(١) مولىلامكة : مثلا ؛ لقب علمي كان يُطلق على من يحوز على رتبة واختصاصات المولوية = المشيخة . ثم أخذ يُطلق على المتعلمين من أبناء الأصلاء والنجباء ، وآصحاب المراكز الإجتماعية الرفيعة . ثم أنحصر فيما بعد على العلماء والمشايخ فقط . كما كان يُطلق على كبار المعلمين ، والمدرسين . فمولىلا مكة المكرمة هو المسئوول عن التعليم ، وأمور الدين ، والافتاء ، والقضاء فى مكة المكرمة .. وكان له مخصصاته الخاصة به . (المترجم)

(٢) طريق قافلة الحج المصري : وهو الطريق الذى كانت تسلكه قافلة الحج المصرى بعد أن ينضم إليها حجاج المغرب وشمال أفريقيا . وبعد إتمام المراسم المعتادة كانت القافلة تقطع المراحل التالية :

بركة الحاج :

وهى أول مراحل قافلة الحج المصرية :

جرت العادة منذ القدم أن يصحب أمير الحج المحمل المصرى الشريف ، وسط إحتفال كبير من مصر القاهرة ، ويتجه به إلى (بركة الحاج) ، وهناك يلتقى بقافلة الحج المصرية ، ثم ينضما إلى بعضهما البعض ، ويتجه الموكب بعد ذلك إلى (هدف البويب) .

هدف البويب :

وهو ممر ضيق جداً محصور بين جبلين ، توجد فى طرفه الأيمن من ناحية الشرق هضبة مرتفعة .

ويتجه الموكب نحو منزل (الحمرا) ، بعد أن يغادر هدف البويب ، وقد أقامت السلطات المعنية فى هذا الموقع عدة أبنية وفسقية ماء من أجل الحجاج .

الحمـــرا :

تصل القوافل بعد الحمرا إلي (نخيل غانم) ، ثم إلى (بركة عجرود) .

بركة عجرود :

تعتبر هذه المرحلة المنهل الأول . وفيها نهير يصب مياهه فى الوادى ، وبها خان كبير ينسب إلى السلطان قانصوه الغورى وثلاث فسقيات خصيصاً من اجل الحجاج وهى تقع تجاه السويس ، وتسمى أيضاً عيون موسى .

وتصل القافلة المصرية إلى (منصرف) بعد أن تتحرك بركة عجرود ، ثم تنزل فى استراحة قبيبات) .

منـــصـــرف :

وتوجد بهذه المرحلة بعض المنخفضات ويظن البعض أن تلك المنخفضات كان قد حفرها الملوك السابقون فى العهود الغابرة ، للربط بين البحر الأبيض والبحر والأحمر ، وهى التى حفرت مكانها الآن قناة السويس .

وسبب تسمية قبيبات بهذا الاسم راجع إلى وجود عدة كثبان رملية صغيرة فى هذا الموقع . =

قريبة من البحر ، فإنه يأتى إليها أشياء كثيرة من مصر ويعمها الرخاء . اشترى

= **قبيبـــات :**

بعد أن يغادر الموكب قبيبات يصل إلي (أول التيه) ، وبعدها يحط رحاله فى الموقع المسمى (وسط التيه) الذى يدعى (روض الجميل) أيضًا .

أول التيـــه :

هو بداية التيه لبنى إسرائيل ، والتيه المذكورة عبارة عن صحراء مترامية الأطراف على جانبها الأيمن جبل الطور ، وعلى جانبها الايسر جبل العريش . طوله وعرضه أربعون فرسخًا ، شديد البرودة شتاءًا ، مرتفع الحرارة صيفًا . لا يوجد فيه ما يحتمى به من البرودة أو الحرارة ، ومياهه معدومة . وقد تاه فيه بنو إسرائيل مدة أربعين سنة ، وظلوا حيارى ذهابًا وإيابًا بين هاتين المرحلتين . ولذلك سميت تيه بنى إسرائيل . ويلى وسط التيه مرحلة (بطن النخيل) وبعدها (وادى التجر) ، وبه ينبوع ماء . وقد أمر السلطان قنصوه الغورى بإقامة حصن وفسقية فى هذا الموقع . وأخيرًا قام أمير أمراء مصر على باشا بتوسيع الحصن والفسقية المذكورة .

ويقوم حراس الحصن المذكور بملء حوض الفسقية بمياه البئر قبيل وصول قافلة الحجاج ، ويدافعون عنه ضد هجمات الأعراب المنشقين الذين يريدون تفريغ هذا الحوض .

وتحط القافلة رحالها قليلا من الوقت فى (أبيار علايا) بعد مغادرة موقع وادى القريض ، وبعدها تصل إلى (عراقيب البغلة) ، ثم تتجه إلى استراحة (الملاحة) ومنها إلى (صقارات) ثم (رأس الركب) فـ (سطح العقبة) .

أبيـــار علايـــا :

وهذه المرحلة عبارة عن صحراء مسطحة واسعة تقع فى نهاية منحدر طويل ، وبها بئران : أحدهما ينسب إلى (بيره) والآخر إلى (علاتى) . ويمتلئ البئران من مياه المطر ، كما يوجد بهذه المرحلة حوض ماء لا بأس به .

رأس الركـــب :

والقوافل المتحركة من هذه المرحلة تصل بعدها إلي (سطح العقبة) ومنها إلى (منزل) . ومرحلة منزل هذه عبارة عن مطلع حجرى يؤدى إلى مرحلة (ظهر الحجار) ، ومنه إلى (الجرفين) فـ (شرفة بنى عطية) التى تشتهر بكثرة أخشابها ورخصها ، وتتجه القوافل منها إلى (مطلات) ثم تحط الرحال للاستراحة (مغارة شعيب) ، كما يسمى سطح العقبة بعقبة (أيلة) ، وهناك أطلال قصبة كبيرة على أطرافها توجد قرية لبدو قبيلة (الحويصات) .

وإذا كان الحجاج لا يجدون ماء يشربونه فى هذا المنزل الذى يحطون رحالهم فيه ، فهناك على بعد ميل واحد بئر عذب المياه حوله حديقة كثيفة الأشجار .

منزل :

وتمثل هذه المرحلة نهاية الربع الأول لطريق مصر – مكة المكرمة ، ومياهها كثيرة عذبة المذاق قريبة من ساحل البحر ، وتمتد نحو ميلين على الطرف الأيسر من جبل الطور . ويوجد فى نهاية هذا الجبل منحدران ومضيق ضيق ، إلا أن مياهها عذبة وآبارها كثيرة .

مطـــلات :

تقع هذه المرحلة بين جبلين ، ويقطنها طائفة من جماعة بنى لام .

مغارة شعيب :

وهى تتمتع بحفر ومنخفضات ذات مياه عذبة وأشجار كثيفة من تلك التى تسمى (أثل مقال) . وفى هذا بعض اللوحات التى كتبت عليها أسماء الملوك القدماء .

وبعد مغارة شعيب تصل القوافل إلى (قبر الطواشى) ، فـ (عيون القصب) .

عيـــون القصـــب :

وهو واد كثير المياه ، كثير الغابات ، شديد الحرارة ، ويحكى البعض أن الكثيرين ممن يتواجدون فى هذا المكان خلال =

الحجاج ما يلزمهم ، وملأوا قربهم . وبعد الظهر تحركنا ، وكنا نمضى تارة إلى اليمين ، وتارة إلى اليسار حتى ترائى لنا البحر الأحمر بعد ثلاث ساعات .

= أيام الصيف يتعرضون للموت الفجائى . وبهذا الوادى مكان قريب من الساحل ملئ بالقبور يزوره الناس . ويظن الاهالى أن أحد هذه القبور ينسب إلى أحد أبناء إبراهيم (عليه التحية والتكريم) .

وبعد مغادرة عيون القصب تصل القوافل إلى منطقة (شرم) ومنها إلى مرحلة (مويلحة) ثم إلى (بطن كبريت) ثم تصل القوافل إلي (قبر الشيخ الكفافى) .

شـــرم :

موضع قريب من البحر ، يسمى الجبل الواقع على طرفه الأيمن (إشارة) .

مويلحة :

تميل مياهها إلى المرارة لوقوعها على ساحل البحر ، قد نزل السلطان قايتباى بهذا الموضع للاستراحة عندما كان متوجهًا إلى الحج ، ولذلك يطلق عليه أيضًا اسم (دار قايتباى) . وما زالت قائمة إلى اليوم .

قبر الشيخ الكفافى :

وهو مدفن شخص يدعى مرزوق .

الشيخ الكفافى :

تصل القوافل إلى منزل (أزلم) بعد منزل الشيخ الكفافى ، ومنه إلى (سماق رخانين) ثم إلي (اسطبل عنتر) فـ (شريت) حيث الصحراء الممتدة الواسعة ، ثم تصل القوافل إلى مرحلة (الوجه) .

أزلـــم :

تمثل هذه المرحلة نهاية الربع الثاني من طريق مصر – مكة المكرمة وهى عبارة عن موقع منحصر بين جبلين أرضه سبخة ومياهه مالحة وأعشابه مسهلة .

رخانـــين :

ولما كان هذا الموقع قريبًا من الحج ، فإن الحجاج المصريين يبدأون الإحرام من هذا الموقع .

اسطبل عنتر :

مرحلة صحراوية محصورة بين الجبال ، ذات مياه عذبة واشجار ظليلة .

الوجـــه :

منزل يشبه الوادى ، به آبار عذبة المياه وحوض كبير . وقد قام إبراهيم باشا والى مصر بتجديد الحوض المذكور سنة ٩٣١هـ ، وهذا الحوض يمتلئ بالمياه عند هطول الأمطار وتدفق السيول .

والوجه قصبة صغيرة تقع فى الجهة الغربية للمدينة المنورة وتحتوى على مائتى دار وعشرين دكانًا وستة أقسام للحجر الصحى وجامع ودائرة حكومية ، وقلعة كانت تحت إدارة المدينة المنورة . وقد انتقلت إدارتها مؤقتًا إلى الخديوية المصرية لوقوعها فى طريق المحمل المصرى ، وتوجد الآن فى حوزة قائمقام مصرى . يستعين بطابور من الجنود النظامية الموجودة فى ينبع البحر وخمسة عشر نفرًا من المدفعية للمحافظة عليها .

تصل القوافل المتحركة من الوجه إلى (بئر القروى) ومنها إلى (حربر) فـ (حورا) المشهورة بجفافها وانعدام مائها . ثم تواصل القافلة سيرها إلى (عقيق) وبعدها تنزل فى (صحن بياض) أى الصحن الأبيض .

صحن بياض :

هو منزل رملى كثير الثعابين والحيات مخيف الأطراف .

وبعد هذا الموضع المخيف تتجه القوافل إلى (نبعا) ومنه إلى (طراطير الراعى) فـ (وادى النار) .

وادى النار :

هو وادى رملى وحجرى بين الجبال ، ويطلق الناس على هذه المرحلة (السبع الوعرات) لوجود سبع صخور خطرة وكبيرة فيها . =

صحـــراء ميمـــون:

صحراء مترامية الأطراف ، شاسعة لا نهاية لها ، لو تخلف فيها إنسان عن قافلته ، فإنه يمضى ، ثم يمضى ، وتكون عودته منوطة بحظه الميمون ، لذلك أطلقوا عليها وادى ميمون ، تشرق الشمس ، وتغرب فى تلك البيداء ، أشعتها تحرق الإنسان من قمة رأسه إلى أخمص قدميه ، وفى الأثر ؛ أن حجاجاً تحولوا كالفحم ، أو الشواء وهم فى إحرامهم . وعلى المشارف الشرقية لهذه الصحراء يعيش العديد من عشائر البدو وقبائلهم كبنى موال وبنى جان وغيرهم وغيرهم الكثير وبقدرة الخالق ، تتحول جمال الحجيج ، فى هذه الصحراء ، وكأنها التنين ، أو كحيات من ذوات الرؤوس السبع ، تخوض فى رمالها ، متخطية كل الصعاب ، قافذة كالغزلان .. وبعد أربع عشرة ساعة وصلت القافلة إلى :

ســـبيل ميمونـــة بنـــت الحـــارث:

وهى من أهل بيت رسول الله ، ولما كانت هذه الصحراء تعود إلى عائلة ميمونة تلك ، فقد أطلقوا عليها وادى ميمونة ، وما زالت معمورة السبيل تخضع لإشراف ونظارة مَنْ يتولى الشرافة فى مكة . ولا تطل استراحة القافلة ها هنا ، بل تحركنا نحو القبلة عقب إطعام الجمال ، والدواب .. يالها من صحراء خطرة لا أمن ، ولا أمان فيها ، ولكن كانت أوامر الشريف وتحذيراته للبدو واضحة حيث حذرهم [.. لوضاع للحجاج فى هذه الصحراء شيئ فلسوف أسلخ جلودكم ..] لذلك مضينا بسلامة الله ، وقضينا سبع ساعات حتى وصلنا إلى قرية ..... وهى قرية معمورة

= نبعـــا :

وهذه المرحلة ذات مياه عذبة وفيرة ويطلق عليها أيضًا : (فقاع الحجار) .

وتتجه القوافل من وادى النار إلى (حجرا) إحدى توابع ينبع ، ومنها إلى (جبل حمر) فوادى تيما . ثم تصل المواكب إلي جبل الزيت .

جبل الزيت :

يطل جبل الزيت على ينبع ، ولهذا يستقبل حاكم ينبع المحمل الشريف فى هذا المكان ويتقدم جمل المحمل حتى السجادة المفروشة ثم تؤدى ركعتان للصلاة حسب العادة .

وتتجه القافلة التى تخرج من جبل الزيت إلى (ينبع) ومنها إلى قرية (عديبية) فاول (دهنا) . ومن هناك إلي (واسط) ومنها إلى بدر ، ومن بدر إلي صحراء (خيب البز) الواسعة ، ثم إلي (عتيق) القريبة من ساحل البحر ، ومنها إلى عقبة (ودان) . وتستمر القوافل من عقبة إلى (رابغ) ثم تواصل سيرها فى الطريق المعروف تجاه مكة المكرمة . «المترجم»

تُسقى من عين الزرقاء ، بها مائتين منزلاً ، وبساتين ، وحدائق غناء ، يبيع سكانها منتجاتهم على قارعة الطريق ؛ تمورها ، وشمَّامها ، وبطيخها كثير . لم نتوقف هنا ، بل تابعنا سيرنا ، ومن الطريف أن النعام ، والغزلان ، والآرانب البرية ، كانت تدخل بين الحجاج ، ونحن فى هذه الصحراء ، فيصطادونها فى سهولة ، ويسر ، وكأنها هدية من الله . . وفى نهاية هذه الصحراء يوجد :

جبل طيبة سلطان :

منطقة عذبة المياه ، معتدلة الهواء ، كثيرة المرعى ، لم نتوقف بل مضينا ، واستمرت مسيرتنا وسط الصحراء يومين ، وكان هذا الجبل ما زال باديا لنا . وقد نفقت جمالٌ كثيرة ، وتُركت غيرها بعد أن أصابها الإرهاق ، والتعب فى هذه الصحراء ، كما أصيب كثير من الحجاج بالإرهاق ، وحل بهم التعب ، من جراء شدة الحرارة . وحمداً لله ، وشكراً فقد وصلت قافلة الحج الشامى سالمة إلى قرية . . . . . بها مائتان وتسعون منزلاً ، وحماماً عاماً ، وحدائق نخيل ، وبساتين وفيرة الإنتاج . أقبل إليها جميع الآعراب ، المحيطين ، لبيع منتجاتهم . وأخيراً ، وبعد ثمان عشرة ساعة وصلنا إلى :

منزل قصبة ربيعة :

وهى تحت حكم الشريف ، وبها نائب عن موللا مكة ، وبها جامع ، وخان ، وأكثر من مائة بئر ماء ، وبسبب قربها من البحر فإن مياهها تميل إلى الملوحة . . ولا تصل مياه عين الزرقاء إلى هنا . ويُحْرِم حجاج القافلة المصرية فى هذا المكان . وقد مروا قبلنا بثلاثة أيام . ولما كانت القافلة تسير بدون توقف قط ، فقد نفق سبعون جملاً ، وعشرة خيول من التعب ، والإرهاق ، وعدم النوم ، أو تركها الحجيج ، لعدم مقدرتها على السير .

قاع البرو أو عقبة السويق :

غرقت كل الحيوانات فى الرمال ، وغمرها العرق ، وترجل الجميع ، وأخذوا فى السير فى بحر الرمال ؛ خطوة يصعدوا فيها مطلعًا ، وأخرى ينزلوا فيها منزلاً ، وكبَّر

الجميع « الله اكبر .. الله اكبر » حتى تجاوزوا العَقَبَة »[1] ، ولكن بقى بين الرمال ما بين سبعين ، أو ثمانين حيوانًا ؛ فكان البدو يأخذونها على الفور من بعدنا ، ولكن مَنْ كان ينظر إلي ذلك !! فلم يبق سوى أربعة أيام للوصول إلى عرفات ، بينما بقيت أمامنا خمس مراحل . وبالرغم من أن رضوان بك أمير الحج المصرى قد أوقف ألف قرش لإزالة رمال تلك « العقبة » إلا أنها ما زالت منطقة مخيفة . فيها هلاك الحيوانات .

وعلى يمين هذا الطريق ، جدار أو نصب مكتوب عليه العبارة التالية : (جدد هذا المضيق ونظف فى زمن السلطان مراد خان ابن السلطان أحمد خان سنة ١٠٤٨) وقد أقام هؤلاء السلاطين جداران على جانبى هذا الممر الضيق مسافة سير ساعتين لحجز الرمال ، ولكن بالرغم من ذلك لم تسلم الجمال من مخاطر الرمال ، ويبقى بها سنويًا مئات منها ، وتاريخ الحائط (بنى على يد أمير الحج رضوان باشا سنة ١٠٥٦ بأمر من السلطان ابراهيم خان)[2] .

وعبرنا أيضًا هذا المكان ، وعلى مسافة أربع عشرة ساعة من « حفرة رابعة » وصلنا إلى :

قلعة البُركه :

توقفت القافلة هنا . وهى قلعة جميلة مربعة الشكل مقامة على صخور مستوية على مسيرة نصف ساعة ناحية الشرق . بناها سلطان بنى هلال سنة ٨٧١ فى زمن الإسكندر . وقد خاض « مالك صُمْحَان » "Malik Sumhan" من بنى

---

(١) مطلع خطر محاط بالصخور من كل جانب ، حتى أصبح كالممر ، أو المضيق الضيق ، تملأه الرياح ، بالرمال ، مما يجعل السير فيه صعبًا . « المترجم »

(٢) السلطان ابراهيم خان : [١٠٢٤ – ١٠٥٨ هـ = ١٦١٥ – ١٦٤٨م]

كان هو ولي العهد الذكر الوحيد فى العائلة العثمانية عند وفاة السلطان مراد الرابع ، وهو شقيق السلطان مراد الرابع هذا ؛ وهما ولدي السلطان أحمد الأول والسلطانه مهيكر . كان فى الخامسة والعشرين من عمره عندما جلس على كرسي الحكم .

ولد سنة ١٦١٥م = ١٠٢٤هـ فى مدينة استانبول . وقد قضى عمره فى جناحه محبوسًا حتى توليته العرش .. ولهذا كان عصبى المزاج ، اعتلى السلطنة سنة ١٦٤٠م = ١٠٥٠هـ وفى سنة ١٦٤٤ = ١٠٥٤ هـ عزل الصدر الأعظم قره مصطفى باشا وعيَّن مكانه محمد باشا . ثم قُتِل فى ١٨ آغسطس سنة ١٦٤٨م بعد أن أُنزل عن العرش فى الثامن من نفس الشهر . رغم عصبيته كان محبًا للخيرات . (المترجم)

عنتر حرباً ضروس فى هذه القلعة ، ثم انتقلت القلعة إلى أيدى بنى هاشم « الهاشميين » ثم فتحها سيدنا على كرم الله وجهه فى السنة الثالثة للبعثة . وفى غرب المكان حوض كبير تقدر أطرافه بستمائة خطوة ، ولا مثيل لهذه البركة فى طريق الحج ، مياهها تأتي من عين الزرقاء ، وناحية القبلة من هذا الحوض يوجد مسجد منخفض القبة ، على محرابه نقشت العبارة التالية : (أمر السلطان مراد بن السلطان أحمد بإنشاء هذه البُرْكة سنة ١٠٤٨ ، فلتقرأ الفاتحة من أجل رضاء الله ....) .

وبالقرب من هذا المكان قرية ، يحضر جميع البدو إليها كل ما يملكون ويبيعونه فى مزاد علنى ، وهى مطروقة من الحجاج ، تحركنا من هنا ، ومضينا سبع ساعات تارة بين الرمال ، وتارة أخرى بين الغابات حتى وصلنا إلى « عسفان » . ولم نتوقف ، بل مررنا ، وهكذا بعد أن قضينا إحدى وعشرين ساعة من البركة الجميلة دخلنا إلى قصبة وادى فاطمة .

منزل قصبة وادى فاطمة :

قصبة تقع أسفل سفح ، بها مائتان بيت عربي ، بها جامع على حافة الوادى ، أطرافه محاطة بالأشجار السامقة الطول ، تتدفق مياه عين الزرقاء فى فنائه فقط ثم تختفى . وقد تدفقت مياه عين الزرقاء هذه بين مكة والمدينة على إثر دعوة الرسول الأكرم . فبينما كان النبى الأمين متوجهاً إلى الشام للتجارة ، كانت عين الزرقاء تتدفق فى طريقه وأينما إتجه ، وهى فى الحقيقة معجزة كبيرة ؛ لإنها تدفقت بناءاً على رغبة النبى الكريم ، متخطية الكثير من الجبال ، والصخور ، والصحارى ، وقد قدَّم الرسول الكريم ﷺ هذه الصحراء كجهاز للسيدة فاطمة ، فى السنة الثانية للهجرة . ومن هنا أخذت هذا الإسم . ويستقر الحجاج الذين يفدون من شتى بقاع الدنيا شهراً فى مكة المكرمة ، فينسون متاعب الطريق ، ومصاعبه . وعشرات الآلاف من الحيوانات الخاصة بالحجاج ، ترعى وتتغذى على أعشاب هذه الصحراء ، ولو تغذى أي حيوان على أعشاب هذه الصحراء عشرة أيام فقط ، فإنه يصبح سميناً ، فوادى فاطمة وادٍ مثمر معطاء .

صفة النجاة = ساحة النجاة:

قاعة صغيرة مبنية من الحجر ، فبينما كان الرسول الحبيب متجهًا نحو الشام هو ، وبعض أصدقائه ، لما لقيه من عناء على يد المشركين ، أرسل المشركون أمثال أبو لهب ، وأبو جهل ، رجلاً يدعى « سراقة » خلفه لقتله وأعطوه ما طلب ، من مال مقابل ذلك . وبينما كان سراقة يود أن يجهز على النبى الأمين بسيفه فى هذا المكان ، فيسقط سراقة على الأرض بحصانه ولكن بدعاء النبى يغوص الفرس فى الرمال ، عندئذ يتوجه سراقة إلى الرسول بالرجاء أن يدعو الله له بالنجاة قائلا ، [ولأحارب أعداءك فى مكة ، وأعمل فيهم سيفى] ولما نجاه الله بدعاء الرسول ، أسلم على الفور ، وما أن عاد إلى مكة فى مُعية الرسول (ﷺ) ، تعجب الكفار وسألوه قائلين :

(ما هذا الحال ، أين رأس محمد ؟) فيرد عليهم قائلا : « أيها الملاعين إن رأسى أنا فداء رأس محمد وقد جئت لأطيح برؤوسكم » ، وقَتلَ سبعةً منهم ، وأحضر رؤوسهم إلى الرسول الحبيب هنا فى وادى فاطمة هذا ، وأصبح ملازمًا للرسول ، ولم يفارقه لحظة . . وقام سراقة ببناء هذه الصفة قائلاً ؛ لقد نجوت من غضب الله . وقمت أنا آوليا العبد الحقير بالتجول والطواف بهذه المنطقة مع عبدين من عبيدى ، بعد أن استأذنت من حسين باشا . وبعد ست عشرة ساعة وصلنا إلى :

منزل مقام العمرة:

يتوقف الحجاج هنا دون أن يُنزلوا أحمالهم . عبارة عن عشر منازل وعشر دكاكين تبدو عليها معالم الفقر ، يخرج كل آهالى مكة لاستقبال الحجيج ها هنا ، ويشرحون لهم شروط الإحرام والعمرة . وهنا يجب الاغتسال أولاً . ولتسهيل اغتسال الحجاج ، أمر عمر باشا والى مصر سنة ١٠٧٣ هـ = ١٦٦٢م بإنشاء بركة كبيرة لدرجة أن القوارب تتجول بها . كما أمر ببناء حمامات ، وميضات ، وأسبلة واستراحات . ويُملئ هذا الحوض بالمياه التى تُسحب عن طريق الدواليب ، والسواقى التى تجرها الثيران . وعلى الذين أحرموا فى بئر على ، ثم ارتدوا ملابسهم ، مزمعين ذبح الأضاحي، عليهم أن يغتسلوا هنا . كما أنه من السنة المرعية صلاة ركعتين هنا . بعد

ذلك على المحرم ألا يقتل قملاً ، أو برغوثًا ، وألا يحك جسمه بأظافره ، فتلك سنة . ويُحَرم الفسق ، أو القتل ، أو الشجار تحريمًا قاطعًا ، وإذا لم يغتسل الحاج المُحرِم فيجب عليه تجديد وضوءه ، وهذا فرض . وبمجرد لبس الإحرام يجب على المحرم أن ينوى قائلاً .. « اللهم إنى نويت العمرة .. » وإذا كان مقصده الحج فقط ، فيقول .. « اللهم إنى نويت الحج .. » وتستغرق المسيرة إلى الكعبة الشريفة ، مدة ساعة واحدة . ويتوجه القادم لأداء طواف القدوم الذى يُعد الفرض أو النُسك الأول . وبقدر طاقة المرء ، يؤدى العمرة ، فكلما أكثر من الأداء نال الثواب وأتم الحج . والسعى بين الصفا والمروة ، واجب ، ويحل بعده حلق الرأس ، وتقصير الشعر ، وبعد النزول من عرفات وذبح الأضاحى ، والقيام بالطواف الأخير ، يجب عندئذ الحلق ، وتقصير الشعر ، وهناك من يتمسك بعدم القص على أنه سنة . وعلى طريق العمرة ؛ يوجد عمودان كبيران على جانبى الطريق ، وعلى كل عمود ثلاث قباب صغيرة مكتوب عليها بالخط الكوفى « إنها من بناء أبى بكر » ، ومَنْ يدخل من هذين العمودين ، يكون قد دخل حرم مكة المكرمة .

وعند هذا الموقع ينتظر حسين باشا ، وشيخ مكة ، وقد إمتطى كل منهما صهوة جواده ، وقد مر من أمامهما : أولاً ؛ خارموش باشا أمير الحاج الشامى ثم جند الشام، ثم جنود الباشا ، وهذه هى الأصول ، والقواعد المرعية ، منذ القدم وقد قامت الفرقة الموسيقية ، المرافقة للباشا ، بالعزف لمدة نصف ساعة ، متواصلة واستغرقت هذه المراسم ساعتين ، وكنا أحيانًا نسير فوق الرمال وأحيانًا فوق الحصى والحجارة .

مرحلة وادى فاه Fah :

ولما كنا قد دخلنا مكة ، قبل عرفة بيومين ، فنزلنا فى معسكر الباشا المقام هنا وقضينا به اليوم الثامن ، وقد أمر بنحر سبعة جمال ، وأربعين رأسًا من الضأن قربانًا ، حيث كان جميع الحجاج ، قد فقدوا الأمل فى الوصول ، قبل حلول الموعد لهذا العام.

وقد قَدِم جماعات ، وأفواج عديدة ؛ من العلماء ، ومشايخ مكة ، وأشرافها والتقوا بالباشا ، وقد لقى كل منهم من الإحترام ، والتبجيل حسب مقامه ،

ومكانتـه . ثم قَدِم بعـد ذلك أوزبك بك [١] ، أمـير الحج المصـرى ، وأميـر جـده ، بقلاجى محمـد بك [٢] ، وقواد المعسكرات [٣] السبعة الكبار ، ومعتمدوها [٤] ، وجاوشيتـها [٥] وقواد المعسكرات السبعة الكبار [٦] ، وچورباجيـوها [٧] ، واوداباشيوها [٨] ، ودخلوا عليه ، فرقة ، فرقة ، وشربوا الشربات .

---

(١) اوزبك بك : كان قائدًا للقوات العسكرية المصرية التى توجهت إلى الحجاز لقمع الفتن التى قام بها الشريف سعد عقب توليه ولاية جدة سنة ١٦٦٩م = ١٠٨٠هـ وعندما اشتدت القلاقل صدرت الأوامر إلى والى الشام صارى حسين باشا بالتوجه إلى الحجاز وتولى قيادة الجيوش العثمانية والقضاء على هذه التحركات ، وتامين قوافل الحج وقد تمكن حسين باشا من احتواء الشريف أولاً حتى انتهاء موسم الحج .. ولكن الشريف تمكن من الهرب عندما شعر بما يدبر له . «المترجم»

(٢) بقلاجى محمد بك أمير جده : عمل أميرًا على جدة . وكان له قصره في القاهرة . رآه أوليا چلبي عندما زار القاهرة وتحدث عنه عندما تحدث عن القصور التى تحيط بالأوزبكية . (المترجم)

(٣) آغوات المعسكرات = اوجاق آغالرى ؛ مصطلح عسكرى يُطلق على قادة معسكرات الإنكشارية ، ورئيسهم يُطلق عليه آغا الانكشارية وكان يُستخدم بدلاً منه فى بعض الأحيان «اركان المعسكر» اى اركان قوات الإنكشارية ، وكانت الرتب التى تلى آغا الانكشارية كما يلى :

١- سكبانباشى . ٢- كاتب الإنكشاريه . ٣- معتمد = كتخدا الانكشارية ، اى وكيلها . ٤- آغا استانبول . ٥- آغوات الاناضول والروميلى ، ٦- كاتب الفضلاء . ٧- إمام الآغا . ٨- قواد الميسرة . ٩- قواد المشاة ، ١٠- قواد كلاب الصيد الفرسان . ١١- فرسان الكيان . ١٢- معتمد الميسرة . ١٣-قائد حاملى الرسائل والبريد . ١٤- معتمد اى كتخدا البريد . ١٥- رؤوساء البلوكات . ١٦- رؤوساء العنابر . ١٧- ضباط الخدمات .

وكانوا يعينون جميعًا بناءًا على تقرير وتوصية آغا = قائد الانكشارية . «المترجم»

(٤) الكتخدا ؛ كتخدا : Kethüda : مصطلح يُطلق على المعتمد أوالوكيل الذى كان يرعى شئون الوزراء أو كبار رجال الدولة ، أو الأغنياء نيابة عنهم ... معتمد وكيل وفى النواحى الإدارية كان يعاون الصدر الأعظم أو الوزير أو الناظر المختص فى تسيير أمور الدولة . فى البداية كان من خواص الصدر الأعظم ورجاله ، ثم أصبح من رجال الدولة وموظفيها وكان يطلق عليه كتخدابك ، وفى عهد السلطان أحمد الثالث تولى نظارة الداخلية ، وعاوَن الصدر الاعظم فى أمور الدولة .

تم إلغاء هذا المنصب فى عهد السلطان محمود الثانى ١٢٤٤ هـ = ١٨٢٨ م . وأُحل محله نظارة الملكية فى سنة ١٢٥١هـ = ١٨٣٥ م .

أما فى المعسكرات ؛ فكان عنوانًا أو رتبة تُمنح لكبار ضباط الإنكشارية ، وكان لكل سلاح معتمد . وهو ما يوازى فى العصر الحديث «قائد السلاح» . وكان يعاون آغا الإنكشارية فى الأمور العسكرية . ولما كان تنشئته وتعليمه يتم داخل المعسكرات ، ففى بعض الفترات التاريخية فاق نفوذه نفوذ آغا السلاح نفسه . يعمل له حساب من قِبل كل قواد المعسكر الأخرين . وهو واحد من ديوان قائد عام قوات الإنكشارية . «المترجم»

(٥) چاووشلر = الجاويشية "Çavuslar" مفردها چاوش . وهو إسم كان يُطلق على أحد الموظفين الذين يُستخدمون فى الاعمال المختلفة . وهو مصطلح إدارى فى بادئ الأمر ، وكان يُطلق عليهم «چاوشان اركانِ عالى» .

هذه وظيفة قديمة فى التاريخ العثمانى ، وكانت مهمة الجاوشية موجودة لدى البيزنطيين والسلاجقة وفى بداية الدولة العثمانية كانوا الچاويشية هم الذين يكلفون بالمراسلات ، والمباحثات السياسية من قبل سفراء الدولة . كما كانوا =

ثم جاء كتخدا الشريف سعد [1] بحصانين مطهمين ، وستة من الغلمان الحبشيين ، الحسان ، والجواهر النفيسة ، والأقمشه النادرة ، والعود ، والعنبر ، وحمولة خمسين جملاً من المأكولات ، والمشروبات ، وقبل يد الباشا ، فأشار له ، إلي مكانه طالبًا منه الجلوس ثم قال :

= يكلفون بالتفتيش وكتابة التقارير عن أمور الدولة . ثم انتقلت هذه المهام فيما بعد إلى رؤوساء الحجاب . وأسندت المراسلات إلى وظائف أخرى . وأصبحت مهمة الجاويشية فيما بعد محصورة على الخدمة فى ديوان السلطان فقط ؛ بحيث كانوا يتقدمون ركب السلطان وموكبه وهو يتفقد شئون المدينة ، ويقومون بالوقوف أمام خيمة السلطان عند الخروج إلى الحرب ، وأثنائها .. أو يقفون فى إحترام بالغ عند عزف النوبة امام معسكر السلطان .

كان الجاوشية يحتلون المرتبة الثانية بعد التشريفاتية فى قانون محمد الفاتح .

كان يُطلق علي رئيسهم « چاويش باشى » اى الباشجاويش اى رئيس الجاوشية . وقد أُلغى هذا اللقب سنة ١٢٥٢هـ = ١٨٣٦ م وأحل محله لقب « ناظر دعاوى الديوان » . وكانوا ضمن تشكيلات السراى العثمانى . « المترجم »

(٢) المعسكرات السبعة : ويقصد بها معسكرات الإنكشارية السبعة ، وكانت كل أورطة تتكون من سبعة ضباط يسيّرون أمورها وهم ؛ جورباجى ، أوضه باشى ، وكيل خرج ، بايراقدار ، حامل العلم ، أقدم القادة ، رئيس الطهاة ، رئيس السقاة . « المترجم »

(٣) جورباچيلر ؛ مفردها جورباجى ؛ = "Çorbaci" : لقب عسكرى يُطلق على ضباط البلوكات التى تكون الجيش العثمانى . وكانوا من المشاة فى الجيش ، وكانوا عبارة عن واحد وثلاثين بلكًا يكونون سلاح العجمى أوغلان اى سلاح أولاد العجم اى أولاد غير الترك . وكان يطلق عليهم آحيانا لقب البيادة ، أو اليبا ، وعلى رئيسهم ياياباشى اى باشيابا او باشبياده أو سربيادكان .

كما كان يُطلق على رؤساءهم أيضًا بلوكباشى اى رئيس البلوكات . كما كان يُطلق عليهم أحيانا « صوباشى » . وكانت لهم خيولهم الخاصة بهم ، وملابسهم الخاصة بهم أيضًا .

ولا علاقة لهم بالجوربة اى الحساء على الاطلاق بل هى عادة شرقية قديمة أن يتسمى ضباط الجيش بمسميات أدوات الطبخ دون ان يكون لهم علاقة بها ؛ فمدير الأمن هو الصوباشى اى القيم على أمور المياه .. وقد تبدل هذا اللقب سنة ١٢٤١ هـ = ١٨٢٥ م عقب الغاء الانكشارية وحلّ محله « آغا الأورطة » .

وظل يُطلق هذا اللقب على الأشخاص المكلفين بتسيير أمور الولايات التى كانت مرتبطةُ بقوات الإنكشارية ، .. كما كان يُطلق على كبار التجار المسيحيين ، وخاصة فيما بين الشعب . « المترجم »

(٤) أوضه باشيلر = اوضه باشى = "Odabasi" : مصطلح عسكرى كان يُطلق على واحد من ضباط الانكشارية ، وكان يعاون الجورباجى فى ادارة مهام فرقته . ويعادل رتبة ملازم فى العصر الحديث وهو المنوط به حفظ الأمن داخل المعسكر، وبين عنابر الجنود . وهم الذين يقومون بمهمة اداء التعظيم والتحية فى العروض العسكرية ، وينام فى نفس العنبر مع جنوده ، وعند الحرب تكون خيمتهم فى وسط المعسكر العام . ويجلسون فوق السجادة الملاصقة للعمود الأساسى فى الخيمة ، ويجلس بقية الأفراد حولهم فى حلقات مستديرة .

أما داخل السراى ؛ فيطلق هذا اللقب على رئيس آغوات القصر الداخلين ،هو المكلف بخلع ملابس السلطان ، وإلباسه إياها . ولذلك فهو يُعتبر واحد من المقربين جداً من السلطان . وهم يتبعون رئيس حرس السلطان . ويختار بدقة من بين خدم السراى ، وخصيانه أي من الطواشية . له مخصصاته اليومية ، والسنوية ضمن خزينة ملابس السلطان . بالرغم من أنه من بين أصحاب العرضّ ، أى من بين الذين لهم حق المثول بين يدى السلطان وعرض بعض الأمور عليه . الغى هذا اللقب مع التغييرات التى تمت على السراى مع عهد التنظيمات الخيرية سنة ١٢٥٥ هـ = ١٨٣٩ م .

(١) كتخدا الشريف سعد : أى معتمد ، ووكيل الشريف سعد الذى تولى الشرافة أربع مرات متقطعة منذ ١٠٧٧ – ١٠٨٤ ، ١١٠٣ – ١١٠٥ ، ١١٠٦ – ١١١٤ ، ١١١٦ – ١١١٦ هـ .

(لما لَمْ يحضر جناب الشريف ، فما حال حضرته ؟) فاعتذر المعتمد قائلاً : (إنه يدعو لكم بالخير.) فقَبِل الباشا ، هداياه ، وودع الكتخدا قائلاً : «بلغ جنابه سلامنا» . ثم أصدر آوامره قائلاً :

«ولتكن قوات البيادة [١] ، والخيالة [٢] ، والسكبان [٣] ، والصاريجة [٤] ، على أتم الإستعداد . فليؤدى آغوات الداخل [٥] وآغوات الخارج [٦] التحية) .

---

(١) البياده : "Piyade" : قوات المشاه فى الإنكشارية العثمانية . ثم تم تجهيزها بالبنادق . وكانت تشكل عنصراً مهما فى القوات النظامية فى العصر العثمانى . (المترجم)

(٢) الخيالة : الفرسان .

(٣) السكبان : "Sekban" : فرقة من فرق الجيش الإنكشارى ، كانوا فى بداية تكوينهم فى عهد السلطان محمد الفاتح برعاية ، وتدريب ، وتربية كلاب الصيد . ثم انخرطوا فى صفوف الجيش المذكور ، وأضحوا من عمدة المشاة فى الجيش العثماني ، وكانت اورطتهم موزعة على ٢٥ بلوكًا . وعلى راس كل بلوك ضابط ، ورئيسهم كان يُسمى سكبان باشى . (المترجم)

(٤) الصاريجة : "Sarica" ؛ مصطلح عسكرى كان يُطلق على الجنود المتمردين الذين ظهروا فى الآناضول ، وينسبون إلى صاريجه باشا . كانوا سبب نكبة أحلت بالبلاد خلال فترة حكم السلطان محمد الفاتح ، ولهذا السبب أصبح هذا اللقب يُطلق على كل الجنود الذين يرفعون راية العصيان والتمرد . (المترجم)

(٥) ايچ آغالار : Ig Agalari : مصطلح يُطلق على الذين يعملون فى خدمة السلاطين العثمانيين داخل قصورهم ، وسراياتهم وهم أنفسهم مَنْ يُطلق عليهم (آغوات الآندرون) اى آغوات الداخل .

هم أربعة انواع : ١- رئيس الآغوات ، وكان بمثابة رئيس الحرس المكلف بحراسة بوابات السراى . وهو أعلى رتبة بين ضباط السراى . ،كان يُختار فى بادئ الامر من الطواشية البيض ، ويوجد تحت إمرته ما بين ٣٠ - ٤٠ غلاماً من الذين يُطلق عليهم «غلمان الباب» . وهم يتلقون الأوامر من رئيس آغوات الأبواب الاربعة . وكان يُطلق عليهم ايضاً آغوات المفتاح . ثم آغا البشكير ، وآغا الشربات ، وآغا الابريق .

وهؤلاء أعلى الرتب داخل السراى ، وآغا الباب يكون فى رفقة السلطان دائماً . ولا يتخلف عن مرافقة السلطان إلا إذا توجه إلى الصيد ، او فى النزهات البحرية ، فيظل هو فى السراى للحراسة .

ثم يتلوه فى المرتبة رئيس خزينة السلطان وهو المكلف بوضوء السلطان ، وفرد سجادة الصلاة ، وتفقد نظافة المكان وأمنه قبل فرد السجادة ، والهدف من ذلك هو توقى وضع السم للسلطان . وفى نفس الوقت هو رئيس خدم الخزينة السلطانية .

اما ثالث آغوات السراى فى الكيلار باشى اى رئيس طباخى السراى . وهو المكلف بوضع الأطباق وأدوات المائدة للسلطان ويشرف على المجموعة التى تعمل على خدمة السلطان عند تناول الطعام .

أما الآغا الرابع الذى يعمل داخل السراى فهو آغا السراى وهو المكلف برعاية القسم الخاص فى السراى ، والغرف والصالونات وتحت إمرته ما لا يقل عن اربعين نفراً من الآغوات . وعلى هذا المنوال ؛ كانت طائفة منهم وعلى هذا النسق تعمل فى خدمة الصدر الأعظم ، والوزراء ، والولاة ، والقادة .

كما كان فى السراى أصحاب وظائف أخرى مَنْ يعملون على راحة السلطان ، وخدمته .. فهناك من يحافظ على ملابسه ، وقفاطينه ، وركابه ، وعدا معاشاتهم الشهرية ، فقد كانت لهم مخصصاتهم السنوية ، التى تعادل ما يقدم إلى آغوات الخدمة الخارجية . «المترجم»

ثم وصلوا إلى بيت الله محرمين ، وطافوا سبعة أشواط ، طواف القدوم ، ثم زاروا مقام ابراهيم ، وأتموا طواف القدوم بالسعى بين الصفا والمروة ، سبعة اشواط .

وفجأة وصل الباشا إلى مخيم الشريف سعد ، فأطار ذلك صواب الشريف . فقال سعادة الباشا مطيبًا خاطره ، ومسريًا عنه :

(لقد شرفتم مخيمنا صباحًا .. ولكم خلعه سلطانيه [1] من سلطاننا صاحب السعادة وفرو سموري ، وخط شريف [2] يتعلق ببقاءكم فى مكانكم ... فلندخل سويًا إلى مكة بالموكب المحمدي ، ولنصعد إلى عرفات معًا) .

= (٦) طيش آغالرى : Dis A´galari : مصطلح ادارى يُطلق على صنف من كبار رجالات الدولة وموظفيها . وكان يُطلق عليهم ايضا « بيرون آغالر » أى آغوات الخارج . وهو يُقابل او يضاهى لقب آغوات الداخل . وكان على رأسهم آغا الانكشارية ثم يتلوه العزب ، والسباهية ، والسلحدار وصاحب العلوفة ، وآغوات قوات المقدمة أى القوة المهاجمة فى مقدمة الجيش . وهم مَنْ يمكن ان نطلق عليهم قوات الاستطلاع فى العصر الحديث ..

اهمهم هو آغا الانكشارية فهو بمثابة رئيس اركان الجيش ، وقوته الضاربة ، فهو قائد المعسكرواعلاهم رتبة . ثم جاء منهم الوزراء . وكانت لهم اهميتهم الخاصة لموقعهم فى الجيش ، يومية الواحد منهم ٥٠٠ آقچه ، عدا المخصصات اللازمة لتربية وتدريب المئيات من الخيول اللازمة للجيش بفرسانها .

يتلوه فى الأهمية آغا الغرب ؛ وكانت قوات الغرب فى عصر السلطان محمد الفاتح وعند فتح القسطنطينية ١٤٥٣م مايزيد عن ثلاثين الف مقاتل . كان لهم السباهية ، والسلحدارية ، والعلوفجية « التموينات » وجميعهم من فرسان الخيالة . وكانوا عبارة عن أربعة طوابير ، العلوفية ، والغرباء « العزبان » عن اليمين واليسار ، والآخرين فى الوسط . يوميه الآغا مائة آقچة . كما ان لهم مخصصات سنوية ما بين ١٦ – ١٧ الف اقچة كعلوفة . « شعير »

أم الصنف أو الصف الثانى من آغوات الخارج ؛ منهم رئيس المدفعجية ، ورئيس الجبخانجيه = المسئوول عن الذخيرة والمفرقاعات ، ورئيس العربجية . أى المسئول عن عربات جر المدافع ، ورئيس الفرقة الموسيقية .. موسيقات المعسكر . وكانوا يبلغون جميعًا اثنى عشر فردًا ويُعتبر امير الاطبل . ومربى الصقور ، وكلاب الصيد ايضًا من آغوات الخارج .

وبإختصار فإن كل من يعمل بالخدمة خارج السراى يمكن ان ينطبق عليه أى آغا الخارج . « المترجم »

(١) الخلعة السلطانية : مصطلح يُطلق على الجبة ، أو القفطان الذى يُلبس فوق الملابس . وهو فى الغالب قفطانًا يُقدم من السلطان إلى مَنْ قدَّم خدمة خليلة للدولة من كبار موظفيها .

كما انه يُطلق على ما يلبس فى المراسم الرسمية من الملبوسات ، وكان يُهدى من السلطان ايضًا ، ومَنْ كان السلطان يتطلطف عليهم بالخلع السلطانية ؛ الصدر الأعظم ، والوزراء ، ورؤساء الجند ، وشيخ الإسلام ، وشريف مكة .

كانت الخلع من الفراء الثمين ، أو الجوخ أو القماش الغالى القيمة .. وهى عادة اسلامية عرفتها الحضارة الإسلامية منذ صدر الإسلام .

ظلت هذه العادة معمول بها فى الدولة العثمانية حتى أُلغيت فى عصر السلطان محمود الثانى وحلَّ محلها تقديم ساعة مرصعة او طبق من الذهب ، أو غليون مرصع وما شابه ذلك . (المترجم)

(٢) خط شريف : مصطلح إدارى كان يُطلق على الأمر الصادر من طرف السلطان بصدد امرمعيَّن او بشان تعيين شخص فى وظيفة معينة . فلم تكن هناك ضرورة ان تخرج جميع الأوامر بخط يد السلطان بل كان الكتبة اوالكُتَّاب هم الذين يحظون الأوامر ، ثم يُوقع فقط من قبل السلطان . وكانت الأوامر تُكتب على ورق خاص بالسراى ، وتكون عليها طغراء السلطان . =

فعاد إلى الشريف هدوءه ، وصوابه . وبعد أن شربوا القهوة ، والشربات قدم الشريف إلى الباشا هدية عبارة عن ؛ عشر زجاجات من العنبر ، وثلاث مسبحات من اللؤلؤ ، وعلبه من الجواهر الصغيرة ، وعشرة بقشات « صرات » من الأقمشة ، وثلاثة غلمان حبشيين . فما كان من الباشا ، إلا أن أخرج من حزامه خنجراً ، مرصعًا بالجواهر ، ومنطقة فى خصر الشريف سعد . وكان الشريف شخصية جذابة ، كريم جوّاد ، أسمر اللون ، وهنا ودّع الباشا ، ومكث هو فى خيمته .

موكب عساكر مصر والشام فى مكة المكرمة :

فيما يلى أسباب تعيين حسين باشا ، وزيراً ، وتحت إمرته ثمانية آلاف جندى :

قبل الآن بسنة ، وبالضبط فى سنة ١٠٨١ هـ = ١٦٧٠ م كان حسن باشا كتخدا عنكبوت أحمد باشا مكلفًا بإعمار الحرمين الشريفين ، وتأمين أمنهما ، وجمع أموال الصرة ولم يستطع حسن باشا التعامل بحسم مع مواقف الأشراف ، أو التعامل والتعايش معهم ، وخلال السنة المذكورة وبينما حجاج المسلمين ، فى طوافهم حدث شغب مما دعى الحجاج للبقاء فى المسجد الحرام ، محتمين به ، وقد أُغلقت كل الأبواب ، فصعد آلاف من أشقياء الأشراف المسلحين ، إلى جبل أبى قُبيس ، ومنارات مكة ، ومدارسها ، الملتفه حول الحرم ، وأمطروا الحجاج بوابل من الرصاص ، فُجرح سبعمائة حاج ، واستشهد مائتان ، وامتلئ الحرم الشريف بجثث القتلى ، وقُتل حسن باشا نفسه . وسلبت أمتعة الحجاج ، والجند ، ونُهبت حاجياتهم ، وبينما جند مصر ، وعساكرها عائدون إلى ديارهم قام الشريف حموده [1] بإعمال السيف فيهم فى مكان يُدعى « نار » "Nar" .

وما أن سمع السلطان بهذه الكارثه الفاجعة ، حتى عيّن حسين باشا ، وزير الشام

= وهناك بعض المعاهدات أو الأوامر التى كان السلطان يخط بيده ملخصها ، ثم يقوم الكتاب بكتابتها .. ويوقعها السلطان .. وكان من المعتاد ارسال خط شريف إلى شريف مكة سنويًا لتثبيته فى مكانه ، أو تولية غيره .. « المترجم »

(١) الشريف حموده : هو الشريف حمود بن الشريف عبد الله الذى يَبدأ به فرع العباد له كان يحكم مكة مع الشريف بن زيد سنة ١٠٧٧هـ = ١٦٦٦م . ولما نشب الخلاف بينه وبين الدولة العثمانية اقام فى ينبع ، وقام بمقاومة القوات المصرية التى بعثت بها الدولة ضده . ولما اشتد عليه الضغط فر فيما بين البدو ولكنه فى سنة ١٠٨١هـ = ١٦٧٠م عقد الصلح مع الشريف سعد ، وانسحب الى الطائف . وتوفى هنالك سنة ١٠٨٥هـ = ١٦٧٤م . (المترجم)

قائداً لثمانية آلاف جندى ، ولم يجعل هذا الخبر ينتشر . وفى الصباح التالى خرج أمامه ثلاثة آلاف جندى مصرى . وقد كان العسكر جميعًا ، مدرعين من رأسهم ، إلى أخمص أقدامهم ، وكانت الطبول المصرية تصدح ، من كل مكان . وبينما هؤلاء الجند يصطفون هكذا ؛ فى شكل بديع محتشم ، سار جند الشام ، فوجًا ، فوجًا ، وقد إمتطى الفرسان ؛ صهوة جيادهم العربية الأصيلة ، من الجلفة ، والطريفى والصقلاوى ، والمصفحة ، والكَالفدانى . وقد تدثرت قوات المحمودية [1] بأطقمها المذهبة ، والمطرزة بالذهب ، وقد أمسك الفرسان ببيارقهم من ناحية ، ومن ناحية آخرى بألجمة خيولهم . ثم مر خارموش باشا ، بخمسمائة من فرسانه ، على نغمات فرقته الموسيقية ، ومن خلفهم الفرسان التتارية [2] ، ثم أعقبهم الآغوات بملابسهم الناصعة ، وقد أمتطوا صهوة جيادهم الكُحَيْلاَنيه ، ومن خلفهم رؤساء القاپجية [3] .

---

(١) قوات المحمودية : مصطلح عسكرى يُطلق على القوات النظامية الجديدة التى تشكلت فى عهد السلطان محمود الأول . وتسلحت بالاسلحة الحديثة ، وقضى بها على الإنكشارية فيما بعد . (المترجم)

(٢) طاطار = تاتار Tatar : مصطلح إدارى يُطلق على حاملى رسائل البريد قبل تأسيس إدارة البريد والبرق فى الدولة العثمانية . وكان يطلق عليه « اولاق » = حامل الرسائل وموصلها . أيضًا . وهذا يختلف عن « ساعى » البريد ، فالساعى هو الذى يقوم بتوصيل الرسائل والمكاتبات الخاصة . ثم حلَّ مصطلح التاتار على كل مَنْ يقوم بأعمال البريد . وتطلق عليه بعض المعاجم العثمانية « ساعى سريع الحركة ينقل الرسائل » .

كانت تشكيلات البريد = التاتار ، تنطلق من العاصمة استانبول إلى سائر الولايات والبلدان ، لنقل الرسائل ، وقد قُسمت الطرق إلى مسافات ، ومراحل كانت فى كل مرحلة توجد « منزلخانه » يترك فيها التاتار حيوانه سواء أكان خيلاً أو بغالاً .

وكان فى كل دائرة ، أو نظارة ، أو وزارة عدد من التاتار ؛ قد وصل فى بعضها إلى ٥٠ - ٦٠ تاتاريًا . .

وكان التاتار يتحرك من العاصمة استانبول بالفرمان الذى يصدر له من الباب العالى إلى حيث توجه الرسالة . فمن استانبول إلى بلغراد ومن اسكدار حتى بغداد . وكانت الآهالى تجتمع فى المحاكم الشرعية فى المدن التى يصل إليها التاتار لقراءه ، والسماع إلى الفرمان أو الأوامر ، والتعليمات التى أحضرها .

كما كان الولاة يرسلون معهم تقاريرهم وكذا الأموال التى يبعثون بها من الولاية إلى العاصمة أو العكس .

كانت أوامرهم مطاعة فى كل المنازل التى ينزلونها ، ولا مراد أو مخالفه لما يقولونه وكانت تنفق من سرعتهم بضع حيوانات ، كما كانت القطعان تُجر تحت سياطهم . ولا مانع من شنق القيم على محطة البريد إذا ما تأخر من إعداد الدواب اللازمة .

كانت لهم ملابسهم وقيافاتهم الخاصة بهم والتى يتميزون بها ، وكانت أغطية الرأس الـ « قلباق » الخاص بهم ممنوع على أى طائفة اخرى أن تلبسه .

وكان رئيسهم فى أي دائرة حكومية يُطلق عليه « آغا التاتار » . وهو المسئوول المباشر عن كل مايتعلق بالبريد . « المترجم »

(٣) قاپجى باشى : قبوجى باشى ؛ رئيس حراس البوابات : مصطلح إدارى يُطلق على آمر ، أو ضابط الحراسة المكلف بحراسة بوابات السراى . وكانوا يقسمون إلى قسمين ؛ « دركاه عالى ، أى الآعتاب العالية ، والثانى ، باب همايون » أى =

وبعد كل هؤلاء ، سار الباشا فى هيبة الغضنفر ، وقد تدثر بفراءه السمُّورى الغامض اللون ، وفى خصره كنانته ، وعلى رأسه العمامة السليمية ومن خلفه آغواته تهتز الأرض والسماء من وطأة أقدام خيولهم الكحيلة . وفى الصفوف الخلفية سار وراء الباشا السلحدارية [١] ، والچوخدارية [٢] ؛ بملابسهم ، ومعداتهم ، التى تبعث فى

= باب السلطان . وكان عدد المكلفين بالخدمة عليهما حوالى خمسمائة حارس فى أواخر القرن السادس عشر الميلادى . ولكن من كانوا على أعتاب الدركاه العالى وحدة سنة ١٠٧٧ هـ قد بلغوا أربعين بلوكًا .

لا يعرف بالضبط فى التاريخ العثمانى متى تم استحداث هذه القوات ، ولكن بما ان ذكرهم قد مر فى قوانين محمد الفاتح فمعنى ذلك انهم منذ اوائل الدولة العثمانية .

وكان أحدهم هو الذى يحمل الرسائل السريةأو المهمة من العاصمة إلى والى أية ولاية . وهم الذين يستقبلون سفراء الدول الأجنبية الذين يقدمون فى مهمات إلى الدولة العثمانية .

كانوا ينتقلون بين اربع درجات اعلاها هى القابوچى باشى « أى رئيس حرس البوابة » ولكنهم وصلوا إلى ست رتب فى عصر محمد الثالث . وكان من مهام رئيس الحرس هو إحضار الإبريق والطشت أمام الصدر الاعظم لغسل يديه بعد تناول الطعام فى ديوان الهمايون .

بلغ بعضهم رتبة الوزارة ، ثم أصبحوا قوة من قوات النظام الجديد بعد إلغاء الانكشارية ، ثم اصبحوا هم الذين يناط بهم عمل الركاب السلطانى . .

فى عهد السلطان محمود الثانى أى فى سنة ١٢٤٤ هـ = ١٨٢٨ م حددت لهم مهامهم ، وملابسهم وساعات الخروج مع السلطان .

فى سنة ١٢٤٧ = ١٨٣١ م تقرر رفع راتب مَنْ يخرج منهم على المعاش إلى ثلاثمائة قرش شهريًا .

كانوا يكلفون بالخدمة فى الضواحى وكثير من الولايات الاخرى وخاصة الحرمين الشريفين .

تكونت منهم بلوكات ، وكان لهم كتخداهم أى معتمدهم . ووكيلهم ، وكانت لهم عنابرهم الخاصة بهم . « المترجم »

(٢) السلحدارية ؛ سلاحدار "Silâhdar" : لقب يُطلق على واحد من كبار رجال السراى . وكان يوازى له من كبار رجال السراى . وكان يوازى له لقب « سلحدارى شهرباري » . ويوازى أيضًا « سلحدار آغا » أى آغا السلحدار أى الآغا حامل السلاح . وفى بداية الأمر كان من الأركان الخواص ، وثانيهما ، أما الأول فهو « رئيس القاعة الخاصة » . وكان السلحدار من المقربين للسلطان ولهذا السبب كانت من الوظائف المهمة .

وخلال المواكب الإحتفالية والمراسم كان يسير خلف السلطان مباشرة على الجانب الايمن وقد امتطى صهوة جواده المطهم ، وهو فى كامل ملابسه المرصعة .

قد استحدث هذا اللقب فى عصر يلدبرم بايزيد = بايزيد الصاعقة ، ويُبين قانون محمد الفاتح ان هذا المنصب كان مهمًا منذ ذلك التاريخ . . وكان صاحب هذا المنصب يتلقى تعليمًا ، وتنشئة جيدة مسبقة فى السراى الهمايونى .

كان صاحبه يتدرج فى مناصب سابقة حتى يصل إلى هذا المنصب . وكان منذ عهد السلطان مصطفى الثانى أى ١١١٠ هـ - ٩٩ / ١٦٩٨ م يصدر بشأنه فرمان خاص بمن يتولى هذا المنصب مما زاد من قيمته .

وكان من حقه أن يشرف ، ويفتش على كل الوظائف والمهام داخل السراى .

وكانت تمنح لهم رتبة الوالى على بعض الولايات المهمة مثل مصر وغيرها كنوع من الإحسان السلطانى ؛ كترضية أو كمكافئة ، أو أن يُعيّن احدهما قبطانًا بحريًا أو قائدًا للإسطول ، بل وصل بعضهم إلى الصدارة ، ومَنْ لم ينل رتبة الوزارة فقد كان ينال الاقطاعات ، والزعامات والتيمارات الشاسعة . ومَنْ كان منهم ينال هذه العطايا فقد كان يعيش طوال حياته مرفهًا . =

النفوس الحشمة والهيبة ، فى نفس الوقت ، ومن بعدهم رئيس السقائين وقد حمل فى يده مطرة « قربة » من الجوهر الخالص ، ثم ثمانية من الشطار [١] وقد علقوا فى خصورهم أحزمة من الفضة الخالصة ، والبُلَط الفولاذية ، وعلى رؤوسهم طاسات ذهبية ، وفى أعقابهم ، أمير الاسطبل [٢] وقائد بلوك الحرس ، والإمام والمؤذن كل على صهوة جواده .

كما كان الباشا قد إرتدى درعه كذلك ، وكان يمضى فى تئودة ، وهو يلقى بالسلام ، والتحية على من إصطفوا على الجانبين ، ويرد عليهم تحياتهم . وكانت الصفوف الخلفية تشمل بقية السلحدارية ، والچوخه دارية ، وحوالى مائتين من الآغوات ؛ وقد ارتدوا ملابسهم المزدانة بالقصب والقشيب ، ثم

= ومن كان يُعين سلحدارًا ، كان يمنح مبلغًا نقديًا تحت مسمى « عجميلك » قد وصل فى القرن الثانى عشر الهجرى ، الثامن عشر الميلادى ١١٦٠٠ آقچة .

وكان السلحدار يُختار من بين الشخصيات العلمية وقد وصل منهم ما لا يقل عن عشرين شخصية بمنصب الصدارة العظمى .

كان يُطلق على رئيسهم « سلحدار آغا » أى آغا السلحدار . كما كان من بين تشكيلات الانكشارية بلوكًا يُطلق عليه « بلوك السلحدار » وكانت قواته من الخيَّالة والفرسان . كما كانت هناك خزينة خاصة تحت حراستهم ملاصقة لدائرة السلطان، ولدائرة الامانات المقدسة فى سراى السلطان ، وكانت تُحفظ فيها الأشياء القيمة إلى جانب أسلحة السلطان .

وهم الذين كانوا يؤمنون طريق الجيش عند التوجه إلى الحرب . ومن القوات المهمة المرافقة لموكب الحج والمحمل المتجه إلى الحرمين الشريفين ، وتكون هذه القوات تحت إمرة أمير قافلة الحج الشامى . « المترجم »

(٢) چوخه دار = Cuhadar : مصطلح يُطلق على الشخص الذى كان يقوم على خدمة السلطان فى إعداد ، وتنظيف وتلبيس الأحذية .

ثم توسع حتى شمل مَنْ يقومون باسدال الستائر وفتحها فى السراى ، وقصور الوزراء وكبار رجال الدولة . ولما كانوا يلبسون الجوخ فقد أُطلق عليهم الإسم مشتقًا مما يلبسون « أى أصحاب الجوخ » .

ومَنْ يقوم بهذه المهمة فى المقاسات العسكرية يطلق عليهم « پارده چاويشى » أى چاويش الستارة . وكانوا يتولون أعمالاً اخرى إلى جانب أعمالهم هذه . وكانوا يمرون ضمن المواكب والإحتفالات كنوع من الزينة ، والبهرجة وإظهار للثراء . ثم انتقلت هذه الوظيفة إلى سائر الولايات . كما كانوا يتواجدون فى رفقة قادة الجيوش فى وقت الحرب ، وفى معية أمير قافلة الحج . « المترجم »

(١) الشطار : جمع شاطر

مصطلح يُطلق على قسم مِنْ الذين يكونون فى معية السلطان العثمانى وكانوا يسيرون فى كوبة مطنطنة حول السلطان بملابسهم المزركشة زيادة فى الأبهة . وكان هناك مثيل لهم يسيرون حول الصدر الأعظم ، أو الوزراء .

وكانوا مرتبطون بالتشكيلات الملحقة بالسراي . ويمكن اعتبارهم الحرس الخاص للصدر الأعظم ، والوزراء فى بعض العصور .

ويطلق على رئيسهم « شاطرياشى » الباششاطر . (المترجم)

(٢) أمير الأسطبل : آميرى آخور : لقب يُطلق على المسئول عن الإسطبل السلطانى ، وكان هو المنوط به إعداد الجنول للسراى ، وللسلطان . ويُعتبر من كبار القواد ورجالات الدولة . والمقربين إلى السلطان . (المترجم)

الكتخدا ، والخزنه دار [1] وفرقة الموسيقى المكونة من ثمانية أطقم ، وهى تصدح بموسيقاتها العسكرية . وكانت مكة ذاتها ، البطحاء تصدح هى الآخرى بتلك الموسيقى . ومن خلف الفرقة الموسيقية رئيس الطباخين ، والذوّاقة [2] بآعلامهم ، وكتخدا الاسطبل ، والسرّاجين ثم السقّائين ، والجمّالة ، وحملة المشاعل . ومن بينهم جاوشية إثنى عشر آلايًا [3] من المشاة ، وقد امتطوا صهوة جياد ، مزدانة ، آعرافها بزينة براقة ، وقد ارتدوا هم أنفسهم الملابس الحريرية ،

---

(١) خدينة دار = الخازن ؛ Hazinedar : مصطلح مالى ، وإدارى يطلق على القيِّم على الخزينة التى تُحفظ فيها الاشياء القيمة والمجوهرات الخاصة بالسراى ويراسهم مَنْ يُطلق عليه خزينه دار باشى أى الباشخزينه دار أو الباشخزنه دار . وهو اللقب الذى كان يطلق على رئيس خزنة السلطان فى السراى . وهو من أهم الشخصيات فى السراى ، أو فى قصر الحكم فى الولايات . وكان من الضباط الكبار فى السراى . وهو المسئول عن الموظفين الذين يعملون تحت إمرته . ومن ضمن وظائفه إلى جانب الحفاظ على الخزينه ، فهو يباشر فرد سجادة الصلاة للسلطان أو الصدر الأعظم الخ كما يهتم بقفازات السلطان ، وحمايته من أى ضرر قد يكون كامن فى هذه الأشياء . وفى الأيام الأخيرة من حياة الدولة العثمانية انحصرت هذه الوظيفة فى سراى طوب قبو فقط .

كانوا يذهبون فى رفقة أمير الحج وهم المناط بهم حفظ الهدايا التى تُقدم إلى الحرمين الشريفين ، والاشراف ، والسادات والمجاورين والعلماء فى مدن الحجاز فى موسم الحج « المترجم »

(٢) الذواقة = چشنه كبر ؛ = چشنى يار : Çesniyar : هو المكلف بتذوق سائر الأطعمة قبل تقديمها داخل السرايى .. وهم مخصصون للعمل داخل قسم الحريم فى السراى . وكانوا يقسمون إلى مجموعتين ، إحداهما يتولون الخدمة العامة والأخرى للخدمة الخاصة داخل قسم الحريم . وكان كل قسم مكون من سبع وظائف يعملون داخل السرايا . وكان وهم ؛ الخزينة دار صاحب الخزينة ، الأبريقدار = صاحب الإبريق وحامله . اوسطى الكيلار ، اوسطى الغسيل ، الأوسطى القهوجى ، اوسطى الصناديق = صناديق الحلي والملابس ؛ وكان الذواقة على رأسهم جميعًا . ومنوط به سلامة السلطان أو الصدر الأعظم ، أو الوزير ، أو الوالى أو مَنْ يقوم بخدمتهم . وكان الذواقة مع اوسطى الكيلارهما . المسئولون عن الطعام والشراب فى السراى أو الوالى ، أو أمير الجند ، أو قافلة الحج ، وكانوا جميعًا يمرون فى المواكب بملابسهم المميزة لهم .

وكان كلاهما يظلان بالقرب من المائدة حتى رفعها . ومناط بهما اعدادها ، وتذوق الطعام والفاكهة ، والشراب قبل تقديمها . « المترجم »

(٣) الآلاى : Alay : مصطلح عسكرى يُطلق على جماعة أو مجموعة متجانسة تمر فى موكب ما ، وأصبحت تطلق على العرض العسكرى . أو الموكب الذى يمر أمام السلطان ، او الملك ، أو الرئيس فى أيام معينه . ومن أهم الشخصيات فى المواكب أمير الآلاى ، وقائد الآلاى ، وأمين الآلاى . وكاتب الآلاى .

وكذلك أخذ يطلق علي مجموعة فى التشكيلات والتنظيم العسكرى ؛ فالآلاى ؛ يضم المشاه ، والخيالة والمدفعية ، ومن نظم الجيش العثمانى أن الآلاى يتكون من أربعة طوابير مشاه ، وخمس بلوكات فرسان ، وست بطاريات مدفعية فى كل بطارية أربعة مدافع باطقمها .

وإن كان هذا التشكيل قد طرأت عليه الكثير من التغييرات على مر العصور . وأضيف اليها فى العصر الحديث ؛ إمام الآلاى ، ومفتى الآلاى ، وجاويش الآلاى . وكان لكل آلاى علمه الخاص به يرفعه عند المرور فى الموكب أو العرض العسكرى . « المترجم »

والخملية ، والمكونة من شلوار أطلسى ، وعمامات خَرْطاوية ، وقد أمسكوا فى أيديهم صولجانات فضية ، وكانوا يمرون من بين الصفوف من حين لآخر للإشراف على حسن اصطفاف الجنود .

لقد مر موكب الباشا ، وآغواته ، وبعد ذلك اختلط الجنود المصرية والشامية ببعضهم ، وأُطلقت الفشنكات فرحًا ، وإبتهاجًا ، وضجت كل النواحى بأصوات البنادق ، التى انطلقت فى كل مكان .

وبعد أن عبر الموكب مَطْلَعًا ، ترائى للجميع آعيان مكة ، وأشرافها ، ومواكب الشريف سعد شخصيًا برجاله الحفاة ، العراة ، الرؤوس ، وقد وقفوا على يمين الطريق للتحية بملابسهم البيضاء ، ولم يضعوا على رؤوسهم عماماتهم الخضراء .

فيحكى أنه عندما كان قايتباى سلطانًا على مصر حضرت شقيقته إلى مكة ، ولكن شريفها لم يسمح لها بالزيارة ، والطواف ما لم يأخذ ثلاثة آلاف دينار ذهبى ، كما تقاضى من كل حاج عند الطواف مائة دينار . وعند عودة شقيقة قايتباى ، أراد مقابلتها ، ولكنها رفضت اللقاء معه ، ولما سألوا عن السبب قالوا :

(آلا تخاف من السلطان قايتباى . . حتى تطلب من شقيقته ثلاثة آلاف دينار ؟ فقال هو بدوره – إن كان قايتباى قادراً ، فليحضر بعشرة آلاف فارس ، وليسترد هذه النقود إن استطاع . وما كان من شقيقة قايتباى إلا أن قطعت على نفسها عهداً آلا تكلم آخاها ما لم ينتقم لها منه) .

وعلى الفور أعد قايتباى إثنى عشر ألف فارس ، وسار بهم نحو مكة . وقبض على كل الآشراف ، واسترد أموال الحجاج ، وبعث بسبعمائة شريف إلى مصر ، ومنعهم من «لبس العمامة الخضراء ، أو ركوب خيول لها ذيول ، أو إرتداء أى نوع من الآخذية . بل عليهم أن يمتطوها ، وهم حفاة الأقدام ، وألجمتها من الحبال العادية » . واستبقى ثلاثة أشراف فقط فى مكة ؛ أحدهما الشريف الكبير ، والثانى شريف الميمنه، والثالث شريف الميسرة . وهكذا ، وفى مكان العرض المتواضع رأيت بنفسى الأشراف ، والمكيين على هذا المنوال السابق شرحه . وفى هذا العرض كان يوجد الدراويش الزيديين . وحوالى مائتين من جنود الشريف العراة .

وصل موكب حسين باشا إلي وادى « أبطح » ومر بالمكان المسمى « المعلا » ، وعلى جانبى الطريق إصطف مئات الآلاف من الحجاج الذين وفدوا من شتى بقاع العالم الإسلامى ، وكانوا يرددون « حفظك الله يا وزير السلطان » أما النساء فقد كن يُطلقن زغاريدهن المدوية من مقام الحجاز . وما أن مر الموكب من منطقة المعلاً هذه حتى بدت للجميع مدينة مكة المكرمة . وعلى كل حاج ، أو عابر لمنطقة المعلا هذه أن يقرأ سورة ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ① حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ② .... ﴾ (*) لإن آلاف من الصحابة الكرام مدفونين بها . ولما بدت مآذن ، ومنارات مكة المكرمة ، للعيان ، علت أصوات جند الإسلام جميعًا بالتلبية مرددين « لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك ... » فالإكثار من التلبية مستحب .

وفى اليوم التاسع من ذى الحجة لسنة ١٠٨٢ هـ = ١٦٧١م ، هذه أقام معالى الوزير حسين باشا معسكره فى منطقة المعلاً هذه .

وادى المعلاً :

هنا أخذ الجند يطلقون البنادق ، والمدافع ثلاث نوبات متتالية ، حتى دوت الوديان ، والسماء مرددة أصوات تلك الطلقات . ثم إنعقد الديوان (١) بعد ذلك . ثم أصدر الباشا أوامره وتنبيهاته التى بُلغت إلى الجنود الشاميين ، وإلى جنده عن طريق الجاوشية ، بأن يكون الجميع فى وضع الإستعداد وأفتى أرباب المذاهب الأربعة ؛

(*) سورة التكاثر الآيتان ١ ، ٢ .

(١) الديوان = Divan : أصلاً فارسيه ، انتقلت إلي اللغة العربية مع بدايات الفتح الإسلامى ، ويستخدم فى معانى مختلفة؛ فيجتمع فيه أهل الحل والعقد لتسيير أمور الأمة سواء من النواحى السياسية ، أو العسكرية ، أو المالية ، أو الإدارية ، أو العدلية ، او المالية .

فى النواحى المالية ؛ يعنى دفتر قيد الدخل والمنصرف فى كل المصالح الإدارية ، أما اداريًا فيطلق على الهيئة أو الجماعة التى تدبر الأمور بالدولة ؛ فهناك ديوان الرئاسة ، وديوان الوزارة ، وديوان الولاية ، وديوان الإمارة ، وديوان الحرب ... وقد عرفته كل الدول الإسلامية .

أما الديوان فى الادب فله مجال آخر .

وكان لكل ولاية ديوان خاص بها ، يراسه الوالى ، ويتكون من أركان الولاية للبت والنظر فى شتى أمورها . وحتى كان للديوان ترجمانه للقيام بمهام الترجمة فى الولايات التى يتطلب فيها الأمر ذلك . وكان ديوان الحرب ينعقد تحت رئاسة السلطان ، كما أن ديوان قافلة الحج كان يضم كل الشخصيات المعنية ، ويراسه امير قافلة الحج . « المترجم »

« ألا يُحرم الجند ، ويكفى أن يلبسوا ملابسهم مقلوبة وأن تجولهم ، وهم يحملون سلاحهم سنة » . وهكذا ، بهذه الكيفية أدى الجنود طواف القدوم ، وسعوا بين الصفا ، والمروة مؤدين العمرة .

وفى اجتماع الديوان قال المجتمعون « ان الشريف ينوى العصيان ، ومن المناسب عزله ، وتعيين الشريف أحمد مكانه » . ولكن الباشا اعترض على هذا الرأى قائلاً :

– أيها الآغوات .. أيها البكوات .. أرجو الإنتباه ، إلى أنه لو حدث ذلك الآن .. فإن جميع خلق الله هنا سيداسون تحت سنابك خيول البدو .. فلا تقولوا مثل هذا الكلام » . وما أن قال ذلك حتى تعجب المصريون والشوام .

وقام الباشا بالتوجه إلى مقام الشريف سعد ، وسلّمه رسالة السلطان ، وأنعم عليه بفراء من السمّور . فما كان من الشريف ؛ ردًا على هذا الإنعام ، وبناءًا على طلب الباشا منه إلا أن يكون فى خدمة حجاج بيت الله الحرام ، وأن يتوجه إلى منى وأن قدم إلى الباشا القهوة العربية ، والشربات ، وماء الورد ، وأهداه مجوهرات ثمينة ، وفرسين كُحَيْلَيْن ، وقطاراً من الجمال الهجين ، وعلى صهوة كل منهم غلامًا حبشيًا عاد الباشا إلى خيمته ، وعلى الفور توجه إلى منى ، وعرفات . وصعد إلى عرفات فى موكب عظيم ،

وإلى عرفات ، ومنى وحيث يُقيم الباشا معسكره ، يفد البدو والإعراب من كل صوب بآغنامهم ، ويتسابقون فى تقديم الهدايا إلي الباشا . وكل الآشراف يعيشون فى بزخ ، وترف ، وذوق ، وصفاء على عرفات ، فهم جميعًا من أهل الذوق ، وحب الحياة . فمرتباتهم تأتيهم بلا تعب ، أو كد ، ويعيشون على مايأتيهم من هدايا ، من كافة أنحاء العالم الإسلامى ، والأشراف أناس مسرفون جداً ، فكل شريف منهم يُنفق مالا يقل عن أربعة ، أو خمسة آلاف دينار ، ذهبى ، منذ خروجه من مكة إلى وصوله إلى عرفات فقط ؛ ففى مكة يتم التعامل بالعملات الذهبية ، والفضية فقط .

وفى يوم التلبية ؛ يتوجه أولاً جند مصر إلى عرفات ملبين ، ثم يمر الجنود الشاميين بالمحمل الشريف [1] . وهما تمام وصول مواكب كل من مصر ، والشام ، ومكة إلى عرفات .

---

(١) المحمل الشريف : مصطلح إدارى يُستخدم للدلالة على الوسيلة التى كانت تستعمل لحمل ، ونقل الصرة =

وقد نزلت آية كريمة ، من قبل رب العزة ، والجلال ، بواسطة جبريل الأمين ، على الرسول الأكرم ؛ عن مناسك الحج ؛ التى علَّمها ﷺ للخلفاء الراشدين ، والصحابة الأخيار ، واخلافهم المحترمين [1] .

وطبقًا لما يذكره المفسرون ، فى كتب التفسير ؛ فإن هناك سبع وسبعون آية كريمة ، نزلت عن مكة المكرمة . وفيما يلى كيفية آداء فريضة الحج :

يصل الحاج إلى مكان الميقات حيث يغتسل ، ويُحرم ، ويجب أن يتخذ لنفسه مطوفًا أى مرشدًا ، ثم يمر بمكانى المعلا ، والأبطح ملبيًا .

والأبطح مكان به بساتين ، وقبور ، ومنه يَدخل الحجيج إلى مكة . وهنالك ، داخل السوق توجد تبتين ، حادتين . ومن هنالك تبدو مآذن مكة . ويعبر الحاج من ذلك الموقع ، وكذلك سوق الصفا والمروة ، وهو يدعو متجهًا ، نحو الحرم الخارجى ، لباب السلام . وعليه أن يدخل من باب السلام مبسملاً . وباب السلام هذا يُفتح صوب المشرق ، وعلى عتبته يوجد حجر نفطي أى يميل لونه بين الأسود ، والأخضر ، وعند الدخول من هذا الباب ، فعلى الداخل أن يطء هذه العتبة بقدمه اليسرى ،

= وستارة الكعبة الشريفة والهدايا المقدمة من الخليفة ، أو السلطان ، أو الوالى ، أو الحاكم إلي الحرمين الشريفين ، وأهل الحجاز عامة ، خلال العصور الإسلامية السابقة . وغالبًا ما كانت هذه الأشياء تُحمل على الجمال ؛ ولو كان السلطان أو والى مصر يُشيِّع بنفسه المحمل عند سفره من استانبول ، أو القاهرة ، أو الشام ، وكانت تتم مراسم تسيير المحمل مع آلاى الصرة فى اواسط شهر شعبان من كل عام ، وسط احتفالات شعبية ورسمية بديعة .

وكان كل والى يتولي شئون المحمل ورعايته خلال مروره عبر ولايته ، ثم يتم استقباله من قبل أمير مكة ووالييها وقوادها ، وآغوات الحرمين فى كل من المدينة المنورة ، ومكة المكرمة وسط حفاوة بالغة . وقد أفرد الحديث عنه فى المقدمة . «المترجم»

(٢) آيات مناسك الحج :

١- ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ سورة البقرة آية ١٨٩ مدنية .

٢- ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ ﴾ سورة البقرة آية ١٩٦ مدنية .

٣- ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ﴾ سورة البقرة آية ١٩٦ مدنية .

٤- ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ ﴾ سورة البقرة آية ١٩٧ مدنية .

٥- ﴿ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ سورة البقرة آية ١٩٧ مدنية .

٦- ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ ﴾ سورة التوبة ، آية ٣ مدنية .

٧- ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ ﴾ سورة الحج ، آية ٢٧ مدنية .

٨- ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ سورة آل عمران ، آية ٩٧ .

ويسير مسافة ثنتا عشرة خطوة ، فتبدو له كعبة الله ، وقد توسطت البيت الحرام ، وهى مزدانة فى كسوتها السوداء . وباب السلام مكون من ثلاث ضلف متجاورة ، وما أن يدخل الفرد من هذا الباب حتى يُسمى باسم الله ، ثم يلبى سائرًا ، داخل الحرم حوالى مائتى خطوة .

ومعنى التلبية : «عندما بنى سيدنا ابراهيم الكعبة أمره الله تعالى قائلاً : يا إبراهيم قل لعبادى ليأتوا إلى بيتى ، مَنْ يؤمن بى إلى يوم القيامة . فبلغ سيدنا إبراهيم أمر الحج ، هذا ، إلى أبناء آدم ، فقالوا لبيك .. يامَنْ دعاك الله ، وجعل الحج من نصيبك ، فيجب ألا تكف عن التلبية ، وألا تُسقطها من لسانك .. فأنت ضيف الله مدعو من قبل الرحمن :

(من كان له نصيب فى الكعبة فرحمة الله له فالحق يدعو مَنْ أَحَبَّه إلى بيته) [1] .

* * *